**المحاضرة رقم 06**

1. **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا:**

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كلّ نموذج من أنواع الجنس البشري، نظراً لوجود البقايا العظمية للأسلاف، عله شكل بقايا مستحاثة حفرية بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضدّة بعضها فوق بعض، وفق خاصية النشوء والتقادم لكلّ منها، بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها .

وهذا يمكّننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها ذلك الإنسان الحفري، إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرّف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة. كما أننّا نستطيع التعرّف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان أو ذاك، في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري [[1]](#footnote-1).

وكما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية، تستفيد أيضاً من المعطيات العلمية/الجغرافية، وفي مقدّمتها النواحي الطبيعية، من تضاريس ومياه، إلى جانب الظروف المناخية التي تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وذلك بحسب قربها – أو بعدها- من خط الاستواء، أو من شواطئ البحار والمحيطات، أو ارتفاعها وانخفاضها عن سطح البحر.

فهذه العوامل كلّها تؤثّر في حياة الإنسان بجوانبها المختلفة، العضوية والاجتماعية والثقافية. ولذلك، فإنّ الأحوال المعيشية والبنه الاجتماعية عند المجتمعات البشرية، ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تلك المجتمعات. فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن من الأخطار الخارجية، بينما يتعرّض سكان السهول دوماً إلى غزوات واجتياحات من الشعوب أو القوه الخارجية. وفي المقابل، يكون سكان المناطق الساحلية أكثر انفتاحاً في علاقاتهم مع العالم الخارجي، قياساً بأهل المناطق الداخلية حيث تكون العلاقات الأسرية شبه منغلقة عله ذاتها، إلى جانب الالتزام بالعصبية القبلية. وهذا ينعكس في سلوكية السكان في هذه المنطقة أو تلك[[2]](#footnote-2).

ولذلك، يميل علماء الأنثروبولوجيا إلى إهمال ما يسمّه بالقدرات الفطرية للشعوب الإنسانية، ويؤثرون كتابة تاريخ الحضارة في ضوء عوامل البيئة والحظ وتسلسل الأحداث المترابطة. فهناك من يجد أنّ للمناخ أثراً في ناتج الطاقة الإنسانية، وهناك من يعتقد بوجود علاقة بين الطقس والخمول الذي يتميّز به سكان المناطق الحارة، أو النشاط الاندفاعي الذي يميّز سكان المناطق الباردة والعاصفة.

وضمن هذه الرؤية، قام الدكتور (وليم بيترسن **W**. **Petersen**) في أواسط الستينات من القرن العشرين، بإجراء تحليل دقيق للارتباط الوثيق بين الطقس والوظائف الفيسيولوجية، وبنه دراسته عله التقدّم الذي أحرزه المرضى الذين كان يشرف عله علاجهم. وتبيّن من نتائج أبحاثه، أنّ تقلّبات حالة المرضى تتبع نمطاً مشابهاً لتراوحات الضغط البارومتري، وبدا وكأنّ الظاهرة الأولى تتأثّر بالثانية[[3]](#footnote-3).

وإذا كان من الصحيح أنّ وظائف الإنسان الفسيولوجية قابلة للتكيّف مع أنواع البيئات المختلفة، فإنّه من السهل – في المقابل – أن نتصوّر أن بعض جوانب البيئة، تكون أكثر أهميّة وتأثيراً من بعضها الآخر، في مراحل معيّنة من تاريخ التطوّر الإنساني، الحضاري والاجتماعي والثقافي ... وهذا كلّه يدخل في جوهر الدراسات الأنثروبولوجية وأهدافها .

1. **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء/البيولوجيا:Biology**

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحيّة من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحته كثير الخلايا والأكثر تعقيداً .ولذلك يعرّف بأنّه : العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطوّرها .

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا سيّما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي. وتدخل في ذلك، نظرية التطوّر التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحيّة وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغيّر باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالاً جديدة ، قد تكون أرقه من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان.

كما تستند هذه النظرية إلى أنّ الإنسان بدأ كائناً حيّاً بخلية واحدة، تكاثرت في إطار بنيته العامة، إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من التطوّر العقلي والنفسي والاجتماعي. وهذا ما دلّت عليه بقايا عظام الكائنات الحيّة المكتشفة في الحفريات الأثرية .

فالأنثروبولوجيا، من الناحية النظرية، شديدة القرب من البيولوجيا ؛ فكلاهما يدرس عملية إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبنيّ عله نموذج نظري للتنوّع، وكلّ في تخصّصه.

لكنّ نتائج الحوار في الدراسة الميدانية، أدّت كما يقول كارلوس سافيدرا إلى أنّ المبادئ التي تأسّست عليها نظرية التطوّر تتبع من الناحية المنطقية والمنهجيّة، توالياً أو نموذجاً، يسير من الثبات إلى التغيّر.. فبنو الإنسان من أصل واحد، سواء أكان التطوّر بالتعبير التطوّري أو بتركيب الحمض النووي بالتعبير التزامني .. ولكن هناك أيضاً – في الوقت نفسه – تشوّهات وتغيّرات مختلفة الأشكال، بنيوية وتركيبية بالمصطلح الأنثروبولوجي .

ويحظى تحليل التنوّع في العلمين، بدور حيوي : التنوّع الجيني في علم (البيولوجيا) والتنوّع الاجتماعي في (الأنثروبولوجيا) , فالتنوّع أمر أساسي لما تسمّيه البيولوجيا " الفاعلية البيولوجية " وهي القدرة عله مواصلة الحياة، وإخلاف الذرية. والأمر ذاته نجده في الأنثروبولوجيا فيما يطلق عليه : إشباع الحاجات الأساسية.

يعدّ دارون رائد علم الأحياء، الذي استند فيه إلى نظرية (النشوء والارتقاء ) في حياة الإنسان، والتي قدّم لها تفسيراً منهجياً معقولاً، يتلخّص في الأمور التالية:

* إنّ عمليات الحياة المتتابعة بمعطياتها وظروفها، تنتج كائنات مختلفة عن أصولها .. أي أنّ أنواع هذه الكائنات لا تتكرّر هي ذاتها من خلال التكاثر، بل تتنوّع في أشكالها ومظاهرها .
* إنّ الخصائص التي تتمتّع بها بعض الكائنات الحيّة، تجعلها أكثر قدرة عله البقاء من بعضها الآخر، حيث تستطيع التلاؤم مع الظروف البيئيّة الخاصة التي تحيط بها .
* إنّ الكائنات الحيّة الجديدة، الأكثر قدرة ورقيّاً، تمتلك عوامل التكاثر والاستمرار عله قيد الحياة، لفترة أطول ممّا هي عند بعض الكائنات الضعيفة الأخرى، التي تتعرّض للانقراض السريع .
* إنّ بعض الخصائص البيولوجية( الصفات المهلكة) عند بعض أنواع الكائنات الحيّة تؤدّي إلى موتها بصورة سريعة، وربّما مباشرة، إذا لم تكن هذه الخصائص تؤهّلها للتكيّف مع الظروف البيئيّة. وهذا ما يؤثّر سلباً في نسل هذه الكائنات من حيث البنية والمقاومة.

واستناداً إلى هذه المبادئ التي قدّمها دارون في أصل الكائنات الحيّة وتطوّرها، وصولاً إلى وضع الإنسان الحالي، اكتشف العلماء قوانين الوراثة وما يتبعها من الجينات (الخلايا) التي تحمل صفات الإنسان، وتنقلها من الآباء إلى الأبناء، من خلال التلقيح والتكاثر. وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يعتقدون بأن الجنس البشري مرّ بمراحل تطوّرية عديدة ،حته وصل إلى الإنسان (الحيوان الناطق والعاقل).

ومهما يكن الأمر، فإنّ النقاش ما زال مفتوحاً حول دور الأنثروبولوجيا في الدراسات الخاصة بتطوّر الإنسان هذا التطوّر الذي يدخل في الإطار التاريخي، ولكن بطبيعة بيولوجية، لا بدّ من دراسة مبادئها ومظاهر تغيرها .

1. **الانثروبولوجيا وعلم الفيزياء والكيمياء:**

تجسد العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلمي الفيزياء والكيمياء، في الاستعانة بهما في تحليل المواد التي صنعت بها الأدوات الخزفية، وأدوات الأكل والإنتاج والتحف، وحتى تحليل ظاهرة تحنيط الأجسام القابلة للانحلال في العصور القديمة وبتحليل مكونات هذه الأدوات يمكن الوصول إلى استخلاصات ونتائج حول العصور التي مرت بها البشرية وطبيعتها وخصائصها ومعالم الانتقال من عصر إلى آخر[[4]](#footnote-4)**.**

1. **الأنثروبولوجيا والفن:**

تتجسد علاقة الأنثروبولوجيا بالفن في دراستها (فنون ورسوم وشعر وأدب وتراث وفلكلور الشعوب المختلفة)، إذ نستطيع القول أن الفن هو أحد موضوعات الانثروبولوجيا الرئيسة وبيان مدى تأثير أشكال المرح والفرح والاحتفال على النظم الاجتماعية المختلفة وعلى الثقافة والقيم التي يحملها والاعتقادات الدينية. وتحليل مثل هذه الرموز الفنية يفيد في فهم نمط التفكير لدى أصحاب هذا الفن وبالتالي طبيعة السلوك الاجتماعية[[5]](#footnote-5).

1. **الأنثروبولوجيا واللسانيات:**

أصبحت استعانة الأنثروبولوجيا باللسانيات ضرورة معرفية ومنهجية ملحة وذلك لما قد يجده الباحث الأنثربولوجي في الدراسات اللسانية من ادوات وتقنيات مفيدة له والتي تشكل محطة اساسية لا بد من المرور عبرها من أجل اقتحام البناء الاجتماعي والثقافي والعقائدي للشعوب فاللغة هي جزء مهم من ثقافة أي شعب وميوله واتجاهاته الفكرية العامة بل هي تقيس تطوره الفكري والاجتماعي[[6]](#footnote-6). **(محمد سعيدي، 2013، ص 44**)

تلعب اللغة والدراسات اللغوية دورا مهما في تدعيم البحث الأنثروبولوجي حيث تمكنه من جمع وتسجيل العناصر الثقافية والتي تنتقل من جيل إلى آخر، هذا من جهة، ومن جهة الأخرى فإن المعرفة اللغوية تبقى أساسية وضرورية للباحث الميداني الذي يبقى مطالبا بمعرفة لغة الأهالي من أجل الاتصال والتواصل معهم ومعرفة أشكإلىم التعبيرية من أغاني وحكايات وأساطير وأمثال وحكم وألغاز وأشعار ونكت، معرفة مباشرة دون اللجوء إلى الدليل أو المترجم[[7]](#footnote-7).

1. **الأنثروبولوجيا وعلم الآثار**

يقوم علم الاثار بدور معرفي ومنهجي لا يستهان به في البحث الانثروبولوجي، حيث يزود الباحث بطاقات علمية ووسائل تقنية مفيدة تساعده على معرفة ما في موضوعه وإبراز بعض خصوصياته المادية والمعنوية الأولى، وذلك باستنطاق الآثار القديمة المتبقية والوسائل على الحضارية التي ابدعها وصنعها الأقدمون وظلت بعض بقاياها حية كعلامات دالة حضارة وثقافة قد اندثرت وانقرضت أو هي في طريق الزوال بفعل عامل الزمن أو الحروب او الكوارث الطبيعية[[8]](#footnote-8).

يستفيد الباحث الانثروبولوجي بل يعتمد في أكثر الأحيان على أعمال وتقنيات ونظريات وأطروحات ونتائج الباحث في علم الآثار الذي يبحث كما هو معروف في مختلف المراحل التطورية الثقافة الإنسان، حيث يحدد معالم تفكير الإنسان الأول ويدرس مخلفاته ويتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالاتها البدائية الأولى إلى حالاتها الراقية في بداية العصر التاريخي، حيث اكتشف الإنسان الكتاب وتوصل إلى حضارة اللغة وعبر الإنسان عن حضارته وثقافته لغويا باستخدام الكتابة **3**إن اعتماد الأنثروبولوجي على علم الآثار مكنته من التعمق والغوص أكثر ثقافات وحضارات وتاريخ الشعوب من الزاوية الأثرية عن طريق تحليل دلالاتها.

وهكذا، تُشكّل الأنثروبولوجيا مع العلوم الأخرى، ولا سيّما العلوم الإنسانية، منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو الإنسان. ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي تنظّم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تسعه إليها هذه العلوم .

1. - علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، مرجع سابق،ص 12. [↑](#footnote-ref-1)
2. - علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، مرجع سابق،ص 14. [↑](#footnote-ref-2)
3. - رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق،ص 61. [↑](#footnote-ref-3)
4. - مصباح عامر، **مرجع سابق**،ص 38. [↑](#footnote-ref-4)
5. - **مرجع نفسه**،ص 19. [↑](#footnote-ref-5)
6. - سعيدي محمد، **الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها**، دار الخلدونية، 2013،ص 44. 27، 28. [↑](#footnote-ref-6)
7. - **المرجع** **نفسه**، ص 26. [↑](#footnote-ref-7)
8. - **المرجع نفسه**،ص 27، 28. [↑](#footnote-ref-8)